

(١)

الكرم في المال والنفس

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، **ويعبد :**

فإن الدين الإسلامي دين القيم والمثل والأخلاق الراقية ، ومن هذه الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف وحثَّ على التخلق بها : خلق الكرم ، فهو خلق من أخلاق المرسلين ، وصفة من صفات الصالحين ، به تسود المحبة والموودة بين الناس.

وقد رغب أتباعه أن يكونوا من أهل الجود والبذل والسخاء ، وأن يجعلوا تقديم الخير للناس والإحسان إليهم مسلماً ومنهجاً رغبة فيما عنده سبحانه من حسن الجزاء والثواب، حيث يقول سبحانه وتعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }.

أما الكرم بالمال فيتمثل في البذل والعطاء من مال الله الذي أنعم به علينا واستخلفنا عليه وأمرنا بالإنفاق منه بسماحة نفس وطيب خاطر وسهولة ويسر ، لقضاء حوائج الناس، من إطعام جائع، وكساء عارٍ، وإعانة محتاج ، وغير ذلك ، مما يحقق لهم الكفاية وقضاء الحوائج ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، يقول سبحانه وتعالى: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }.

(٢)

ومع أن المال هو مال الله (عز وجل) فإنه سبحانه وتعالى وعد المنفقين منه بمضاعفة الأجر والثواب أضعافاً كثيرة ، فقال سبحانه: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) ، ومن هذا يتضح كرم الله سبحانه وتعالى مع عباده ، فحين ينفق الإنسان مما أعطاه الله (عز وجل) ولو كان قليلاً فإنه سبحانه وتعالى يبارك له في ماله ويتفضل عليه بأضعاف مضاعفة ، قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} .

ولقد بين القرآن الكريم أن الكرم من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، فقال تعالى في قصة إبراهيم (عليه السلام) : {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ} ، ولعظمة كرمه وجوده (عليه السلام) لقب بأبي الضيفان ، وقال سبحانه عن موسى (عليه السلام) : {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} .

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) ضرب أعظم الأمثلة في الجود والكرم ، حيث بلغ مرتبة الكمال البشري في حبه للعطاء والبذل ، فكان يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر ،

ثقة في عطاء الله وإيماناً بفضله ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: (مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا) ، ويؤكد ذلك ما رواه الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها): أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا ، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا).

ولمكانة هذا الخلق الكريم وبيان منزلته أمر به رب العالمين ، وحث عليه سيد المرسلين ، فيقول سبحانه: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} ، وفي الحديث القدسي: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ) ، ويحث النبي (صلى الله عليه وسلم) على الكرم فيقول: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْدُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمَسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ ، وَأَيُّدُ الْعُلَيَّا خَيْرٌ مِنْ أَيُّدِ السُّفْلَى) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ).

ولهذا سارع الصحابة (رضوان الله عليهم) إلى الجود والكرم بالمال والنفس ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، فضربوا أروع الأمثلة في البذل والعطاء وخاصة وقت الشدائد والمحن ، تحقيقاً للتكافل والتعاون والتراحم ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ). وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: أُهْدِي لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسُ شَاةٍ ، فَقَالَ: (إِنَّ أَخِي فَلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَيَّ هَذَا مِنِّي) قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ إِلَيْهِ وَاحِدًا إِلَى آخِرِ حَتَّى تَدَاوَلَهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ

(٤)

إِلَى الْأَوَّلِ فَتَزَلَّتْ { وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } ، فكانوا يتنافسون في الجود والكرم، ويتسابقون إلى البذل والعطاء .

ثم يبين النبي (صلى الله عليه وسلم) أهمية الكرم وبذل المال في إصلاح الفرد والمجتمع، بداية من الأهل والأقارب فيقول: (إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا يَمَا أَنْفَقَتْ ، وَلِرَوْحِهَا أَجْرُهُ يَمَا كَسَبَتْ ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ ، لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا) ، ويرغبنا النبي (صلى الله عليه وسلم) في إكرام الضيف فيقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه).

ومن ثمَّ فإنَّ بذل المال في سبيل الله تعالى إنفاقًا وإكرامًا ينتفع الإنسان بأثره يوم القيامة؛ لقوله (صلى الله عليه وسلم): (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَا لِي مَالِي ، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكِ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ).
وجدير بالذكر أن الكرم لا يتوقف على بذل الأموال فحسب؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قال: { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ } ، وفي آية أخرى قال: { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ } ، وهذا يدل على أن هناك كرمًا آخر غير الكرم بالمال وهو الكرم بالنفس .

والكرم بالنفس معناه بذل الجهد في تقديم الخير للآخرين ، والعمل على قضاء مصالحهم وحوادثهم ، وعلى معاونتهم ومساعدتهم ، سواء بالكلمة الطيبة أو بتقديم النفس من أجل تحقيق غاية سامية عظيمة كالإصلاح بين الناس ونشر الخير والدفاع عن الدين والوطن ، فهو صفة الكرماء وشيمة النبلاء ، وهو أرقى درجات الإيثار ، وأنفس أنواع الجود والكرم ، يقول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

على أن الكرم بالنفس له صور متنوعة ، منها : بذل الجهد والسعي لقضاء حوائج الآخرين واصطناع المعروف معهم ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) ، وذلك من الشفاعة الحسنة التي أمرنا الله تعالى بها فقال: {مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا} ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طَلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، قَالَ : (اشْفَعُوا تُوجَرُوا ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا شَاءَ) .

ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اعْتِكَافِهِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَنْ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ كُلُّ خَنَادِقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْخَافِقِينَ) ، ومن ثم فإن من أجل وأعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان أن يوفقه ببذل الجهد لقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم.

ولقد ضرب لنا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصة الضعفاء والأرامل واليتامى ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) : أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، فَقَالَ : (يَا أُمَّ فُلَانٍ ، انْظُرِي أَيَّ السُّكِّ شِئْتِ ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، حَتَّى فَرَعَتْ مِنْ حَاجَتِهَا) ، وَعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أَيْضًا قَالَ : كَانَتْ الصَّلَاةُ تُقَامُ ، فَيَكَلِّمُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) الرَّجُلَ فِي حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ ، فَيَقُومُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَمَا يَزَالُ قَائِمًا يَكَلِّمُهُ ، فَرُبَّمَا رَأَيْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ لِيَنْعَسُ مِنْ طَوْلِ قِيَامِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَهُ ، قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

(٦)

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيك فارح
فلخير أيام الفتى يوم قضى فيه الحوائج

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد
(صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

ومن صور الكرم بالنفس: ما يبذله الجندي المرابط على الحدود يدافع عن
وطنه وأرضه وأهله وعرضه ، فهو يؤدي واجباً يثاب عليه بالخير الكثير ، يقول (صلى
الله عليه وسلم) : (رَبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) ، وأيضا يضمن
لنفسه الأمان من النار ، لقوله (صلى الله عليه وسلم): (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ
بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بل إن كرم الإنسان بنفسه
يضمن لنفسه الفلاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

ومن ثم فإن تعاليم الإسلام التي تحث على الكرم والجود والسخاء بكل ما يملك
الإنسان من ماله أو نفسه هي أكبر دليل على إيجاد مجتمع قوي متماسك متعاون ،
تسوده المحبة والإخاء ، يقوم على العطاء وفعل الخير للغير ، ويهيمن عليه الإخلاص
والوفاء ، فينبغي أن يكون المؤمن كريماً في كل أحواله ، فالمجتمع الإسلامي
لا يعرف الفردية أو الأنانية أو السلبية ، وإنما يعرف الإخاء الصادق ، والعطاء الكريم ،

(٧)

والتعاون على البرِّ والتقوى دائماً ، فتتجلى مكارم الأخلاق وتعم معاني التراحم بين جميع أفراد المجتمع ، ونكون أمام ترجمة حقيقية للتعاليم الإيمانية.

فما أوجنا إلى التخلق بهذا الخلق العظيم ، بعيداً عن كلِّ مظاهر البخل والشح، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرْمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرْمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ...).

اللهم استرنا بسترِكَ ، وأكرمنا بكرمك ، ووفقنا لطاعتك.